

## كاريكاتير خاص ب (المريليو)



## بجناحين من الكلمات

يوسف عبد العزيز



yousef\_7aife@yahoo.com

على بركة الماء/ حول المساء وزهر الكولونيا/ انظرها/ .....". ويقول في القصيدة أيضا: "ومن على مهل يدها/ عندما تضع الكأس فوق الرخام/ كأنك تحمل عنها الندى/ وانظرها/ تحدت إليها كما يتحدث ناي/ إلى وتر خائف في الكمان/ .....". في هذه القصيدة الساحرة كما نرى لا يوجد هناك ذكر لموضوعه السياسي، سواء كانت فلسطينية أو عربية، فهل تحذف هذه القصيدة من انتمائها لفضائها الفلسطيني أو العربي؟ لا، وعلى العكس من ذلك، فأنا أرى أن الإضافة التي يقدمها الشاعر من أجل فلسطين أو من أجل عربيتها هي إضافة فنية، التي هي إضافة حضارية بامتياز.

ما أستطيع أن أقوله من خلال هذا الحديث عن الشاعر محمود درويش، هو أن هذا الشاعر الفذ استطاع من خلال تجربته المبكرة، أن يعود بالشعر العربي بعد أن تغرب عن جوهره، ودخل المتاهة، إلى ينباع الأولى الحافية. لقد حذب عليه الرؤى العميقة في الشعر العربي والقاسي، الأمر الذي أغنى قصيدة درويش، وجعلها على هذه الدرجة الكبيرة من النضج.

رأيتها، وبعثت في حياها شعبي وخلود وطنه! في هذه الدرجة الكبيرة من النضج. وقد صعدت فوق رأسه وراى نفسه يموت بمفرده. وفي عز التوتر، أوقف بضعة زر البث التلفزيوني وارتجل خطابا يبت بالمباشرة: "أريد شعبي قربي، أريد أن أحس بنض شعبي. تعالوا ارقصوا أمامي، فأما أن نحيا معا وإما أن نموت معا. تعالوا، غنوا وارقصوا رقصتمكم الأخيرة!



كانتها، حية ترمش! ثم تبدي له الموت بحروف تملئها صواريخ الحلف الأطلسي فوق رأسه وراى نفسه يموت بمفرده. وفي عز التوتر، أوقف بضعة زر البث التلفزيوني وارتجل خطابا يبت بالمباشرة: "أريد شعبي قربي، أريد أن أحس بنض شعبي. تعالوا ارقصوا أمامي، فأما أن نحيا معا وإما أن نموت معا. تعالوا، غنوا وارقصوا رقصتمكم الأخيرة!

أنا بقاء ولو ضاعت كل ليبيا. اسمعوا شعبي الذي يجني يصرخ: "الله ومصر ويس! خذوا ليبيا واحرقوها أما هم فيكفهم أن يبقى ملهمهم على قيد الحياة كي يستمر قلبهم بالنض والحياء... أما انتم، يا مغول العصر، فدمروا ما شئتم من بنايات واحرقوا ما شئتم من طير وشجر لكنكم لن تدمروا ممر الصخرة الصلبة. أنا باق ما بقي الهواء والماء والتراب والنار أنا باق ما دام الكون بحاجة لعناصره الأربعة. ليبيا اليوم جمره ولكنني هنا. أنا لا زلت هنا وسأبقى هنا ولو احترقت كل ليبيا. احرقوا ليبيا لكنكم لن تحرقوني. أنا معمر القذافي المجد. لن يمكنكم حرق المجد مهما بلغت بكم الوقاحة والصفافة ولكن يمكنكم حرق ليبيا. احرقوا ليبيا وعبروا عن أسكنم وإحباطكم. اقلوا رجالي، دمروا كتابي لكنكم لن تصلوا إلي. لن نظفروا بذلك الشرف ولو احترقت كل أفريقيا... الفصل الثامن من رواية "عدو الشمس" اهداء من الكاتب قبل نشرها.

العربي المعاصر، بحيث يغطونها كلها. إن ما في هذه المحاولة من خطورة يتعدى حدود المبالغة الفنية والتفكير المسؤول للواقع، إلى الاعتداء على حركة تاريخ.

لنتذكر أن الشاعر محمود درويش كان قد قال هذا الكلام في مرحلة مبكرة من تجربته الشعرية وتحديدًا في العام 1968، ومنذ تلك الفترة استمر هذا الشاعر الكبير بقيادة دفة قصيدة المقاومة بل دفة الشعرية العربية، وتوجه بها إلى المناطق الأكثر غموضاً وصعوبةً وإبتكاراً. وخلال هذه السنوات الطويلة من غير تجربته الشعرية ظل هذا الشاعر مخلصاً لفلسطين التي يكتب لها، وفي الوقت نفسه مخلصاً لعروبته وإنسانيته. فقد فتحها على كافة الاحتمالات وعددها، كما ربط الصراع مع المحتلين الصهاينة ببعديه العربي والعالمي. أما على المستوى الفني للقصيدة التي يكتبها فقد اشتبكت الرؤيا الدرويشية وتلاقحت مع عدد كبير من الرؤى العميقة في الشعر العربي والقاسي، الأمر الذي أغنى قصيدة درويش، وجعلها على هذه الدرجة الكبيرة من النضج.

كان مما قاله درويش في البيان الذي أصدره بهذا الخصوص: "إن أخطر ظاهرة ستوقفنا في هذا السياق، هي أن وتيرة الحب قد أوصلت بعض المراقبين الأذبيين في العالم العربي إلى محاولة وضع شعرنا ليس في مكان أوسع منهم فقط، وإنما إلى محاولات وضعهم على امتداد مساحة الشعر

العربي المعاصر، بحيث يغطونها كلها. إن ما في هذه المحاولة من خطورة يتعدى حدود المبالغة الفنية والتفكير المسؤول للواقع، إلى الاعتداء على حركة تاريخ.

لنتذكر أن الشاعر محمود درويش كان قد قال هذا الكلام في مرحلة مبكرة من تجربته الشعرية وتحديدًا في العام 1968، ومنذ تلك الفترة استمر هذا الشاعر الكبير بقيادة دفة قصيدة المقاومة بل دفة الشعرية العربية، وتوجه بها إلى المناطق الأكثر غموضاً وصعوبةً وإبتكاراً. وخلال هذه السنوات الطويلة من غير تجربته الشعرية ظل هذا الشاعر مخلصاً لفلسطين التي يكتب لها، وفي الوقت نفسه مخلصاً لعروبته وإنسانيته. فقد فتحها على كافة الاحتمالات وعددها، كما ربط الصراع مع المحتلين الصهاينة ببعديه العربي والعالمي. أما على المستوى الفني للقصيدة التي يكتبها فقد اشتبكت الرؤيا الدرويشية وتلاقحت مع عدد كبير من الرؤى العميقة في الشعر العربي والقاسي، الأمر الذي أغنى قصيدة درويش، وجعلها على هذه الدرجة الكبيرة من النضج.

كان مما قاله درويش في البيان الذي أصدره بهذا الخصوص: "إن أخطر ظاهرة ستوقفنا في هذا السياق، هي أن وتيرة الحب قد أوصلت بعض المراقبين الأذبيين في العالم العربي إلى محاولة وضع شعرنا ليس في مكان أوسع منهم فقط، وإنما إلى محاولات وضعهم على امتداد مساحة الشعر

## «عدو الشمس»

الرباط - محمد سعيد الريحاني

في خلوته، مع زوجته، تنهد العقيد وقال: - هل تعلمين، يا عزيزتي، بأن أحد الأئمة صرح اليوم بأنني أنا فرعون العصر وبأن الله خلق التوازن قانوناً للكون خالفاً لفرعون الطاغية زوجة تقيبة كما توهم بأن لي، أنا الفرعون الأخير، زوجة ورعة. وهم الأبراهمون على الانشقاق داخل أسرتنا الصغيرة والتحاقاً، أنت، زوجتي وأم أولادي بالمقلين وذوي السوابق العدلية كما التحقت زوجة الفرعون بالموحدين. أترين أي قوم كنت أحمك طيلة الأربعين عاماً من عمري وحكمي!... ولما لم تحب، وجه لها سؤالاً مباشراً يخرجها من صمتها: ألم تلاحظي بأنه مباشرة بعد خطابي الأخير، بدأت أركن نظمي السياسي تهاوي مع فرار ضباط الجيش والمسؤولين واستقالة الوزراء والسفراء؟ أتساءل: لماذا يتخلى عني الرفاق؟

الرفاق كانوا إلى جانبي حين نمتت خصومك بالجردان وصدفوك وقتلوا خصومك كما تقتل الجرذان. - ما علاقة هذا بذلك؟ وما الذي تغير في الأمر؟

- لقد أيقنوا مع الزمن بأنك أنت الجرذ، وأنك لا تستطيع حتى الخروج من هذه السرايب تحت "باب الحرية" لتتواصل مع حراسك وجنودك وخدمك!

- أيمكن، يا زوجتي، أن أكون أنا الجرذ وقد ألفت "الكتاب الأخضر" وشدت النهي الصناعي العظيم وحكمت ليبيا لأكثر من أربعين عاماً؟

افتحم الحاجب خلوتها جاراً خيط ميكروفون مده للعقيد لربط الاتصال بينه وبين أحد أقطاب الثورة في برنامج سجالي مباشر على قناة اجنبيه إذ قال الزعيم دون أن يعلم حتى موضوع البرنامج:

1- إنها حرب بين شرق البلاد وغربها!

2- بل هي حرب تحرير البلاد جميعها!

## صانع الحراك الوطني على الهواء



د. محمد حباشنة

drhabashneh@hotmail.com

اجادت قناة رؤيا الفضائية حين استضافت مؤخراً رئيس وزراء "أسبق" هو سمير الرفاعي. وكلمة "أسبق" هذه، أتمنى أن لا تتغير لأسباب موضوعية صرفة. لم يأت الحوار مجادلاً ومحرراً من باب ادب الضيافة واللباقة، إنما سمح للمشاهد فرصة التأمل في منطق رجل كان على رأس الحكومة الأردنية، التهديف المريح من دون مفاشنة، يحتاج إلى حد أدنى من المهارات واللباقة وغياب الخجل الاجتماعي.

في العلوم النفسية يستطيع المتأمل الفاحص ان يلتقط 90% من مواصفات الآخر في اول ثلاث دقائق من المقابلة، فما هي الحال بساعة ونصف تكفي لمعرفة العمليات العقلية الخفية والواضحة منها، لشخص بسوية وقامة وتعقيد (تشرتشل)، فما بالك بالقامات العادية والمتوسطة والبسيطة.

بعيدا عن هذه المقدمة النظرية، إلا أنه يسجل لشخص سمير الرفاعي إنجاز تاريخي أردني بامتياز، هذا "الأسبق" هو من صنع الحراك الوطني الأردني، ورغم أنه وصف الحراك بالفوضى - من باب التواضع على الأغلب - إلا أنه من الواجب إبقاء الرجل حقه، وربما كان يعني "بالفوضى" ان حضوره الصاعق (كرويس وزراء للأردن) قد أيقظ عقول وضمان الأردنيين، من دون مقدمات او ترتيبات مسبقة، فاتى الحراك وأتى على وزارته بالضربة القاضية الفنية.

لم يهبط الحراك الأردني علينا بالبارشوت، فهو حراك سبق الربيع العربي، ولم يكن ردة فعل للاخير او عدوى خيره للتغيير، انما هو اصيل، خارج من رحم السياق الاجتماعي والسياسي والاقتصادي الاردني الخاص. التراكمية للظروف المعيشية والاحباطات السياسية والاجتماعية وصلت إلى "حد العتبة"، التي تحول الطاقة الساكنة إلى متحركة، ومن الجود ان ننكر ان قدوم حكومة سمير الرفاعي جاءت بثلاثية إبداعية أوصلت الناس إلى حد العتبة. ثلاثة ابعاد كان الناس قادرين على احتمال بعد أو بعدين منها في شخوص الحكومات السابقين خلال العقد الماضي..... اما أن تأتي الثلاثة معا في شخص واحد فهو اكتمال "لثافي القدر" ودعوة رسمية للتحرك.

1- التورث: هنالك فرق كبير بين التورث المفاجيء غير المبرر، وبين العائلات السياسية التي تنخرط بالعمل العام وتحترفه وتصل إلى المواقع السياسية بالجهد الذاتي والإنجاز الشخصي وبالتدرج المنطقي، ولا يضيرها ان يكون من اصول الدم من شغل مواقع عامة سابقا..... العقل الجمعي الأردني استوعب الحالة المدروسة كتورث مطلق وغير متقن..... من يستطيع هنا ان يلوم العقل الجمعي او يستنكره وهو يمثل هيئة محلفين كبرى لا يشكك في ضميرها؟

2- الخبرة: ينحو العقل الجمعي الأردني أن يأخذ عامل الخبرة بعين الاحترام والتقدير، وقد يتجاوز عن هذا الشرط بوجود كاريزما أو حضور يطابق نمطية "القائد الذكر" الذي يخاطب وجدانه وأمالهم وادارتهم (وعيونهم مغاريف الحكى). اما غياب العاملين فهي ما اقلت شعرة معاوية.

3- الحساسية المجتمعية والاقتصادية: لا يمكن لدولة القانون ان تنجح في مجتمع انتقالي أقحم في برنامج تحول اقتصادي اجتماعي هجين، مع غياب تاهيل أو تهيؤ، ومن دون وجود حساسية مفرطة ومرهفة من صاحب القرار، توازن بين لغة الأرقام ولغة الناس.... ماذا يعني عدم تجديد عقود عمال المياومة أصحاب العرق المجهول بتراب الوطن وميزانيتهم مخصصة أصلا في الوزارات المعنية ولن تكلف الخزينة إلا ضياع قوتهم، وماذا نفهم من حالة الصلف والتعننت والوقوفية بتجاه المعلمين وثقافتهم، وماذا يعني قانون الدائرة الوهمية الذي يستحق براءة اختراع، لإرباكه للمفهوم الديمقراطي الجميل والذي حمل في طياته وتطبيقاته ما حمل.

تمنيت أن يبقى "الأسبق"، وأنا أستذكر كيف رفضت اللجنة الوطنية للمتقاعدين العسكريين مقابلته بداعي ضعف الخبرة لديه، واتمنى ان يبقى "الأسبق" لأن حالة قادمة مماثلة أو مشابهة سوف لن تولد الحراك المحترم الذي تشهده الآن، بل قد تأتي على ما تبقى من هيبة الدولة وتذرنا من دون دولة قانون ناطمة.

## قانونان لهيمنة امريكا على الانترنت

د. ابراهيم علوش

عتمت موسوعة ويكيبيديا على الإنترنت ليلة 2012/1/18 على قسمها الإنجليزي يوما واحدا احتجاجا على قانونين مطروحين في مجلس نواب الولايات المتحدة لمحاربة القرصنة وحماية حقوق الملكية الفكرية على الإنترنت يعرفان باسم SOPA و PIPA بالتوالي. وقد شاركت بعض أهم مواقع الإنترنت بالولايات المتحدة بحملة الاحتجاج، منها مثلا محرك البحث غوغل، وموقع Reddit، وغيرها. ومع أن الهدف المعلن رسميا لهذين القانونين، اللذين قد يناقشان في مجلس النواب في بداية شهر شباط، هو مواقع الإنترنت الأجنبية، أي غير الخاضعة لشركات الإعلام في الولايات المتحدة، فإن الاحتجاج الأقوى عليها جاء من فضاء الإنترنت في الولايات المتحدة نفسها، ومن بعض أهم الشركات فيه....

لنبدأ أولا بتوضيح أهمية وأثر هذين القانونين على العلاقات السائدة في فضاء الإنترنت عالميا وعلى محتواه، بالإشارة إلى أن معظم السيرفرات vres-sre، أي أجهزة الحاسوب المركزية العملاقة التي تضيف الشبكة العنكبوتية العالمية، موجودة في الولايات المتحدة. مثلا، فلنفترض أنك أردت أن تفتح إيميلك الإلكتروني، أو أن تبحث عن مقالة أو مادة تعرف عنها، فإنك عندما تفعل ذلك ترسل إشارة الكترونية إلى جهاز حاسوب مضيف موجود على الأرجح في الولايات المتحدة يقوم هو بتنفيذ الطلب. هذا يعني ببساطة أن الولايات المتحدة تستطيع أن تفرض القواعد التي ترغبها في التفاعل الإلكتروني، مثلا أن تحجب مواقع معينة في محركات البحث، أو أن تبرز مواقع معينة قبل غيرها لو أرادت، أو أن تتطب حسابك البريدي.. الخ.

إذن يقول القانونان المتعلقان بمحاربة القرصنة وحماية حقوق الملكية الفكرية بان المواقع التي تحتوي مواد مقرصنة، صورة مثلا، أو خريطة، تم سحبيها من الإنترنت واستخدمتها في صفحاتك، سوف يتم سحبها، ومن ثم حجب أي موقع آخر يقود إليها. وهذا يعني فعليا إخضاع الشركات الصغيرة للكبيرة، والدول الصغيرة للكبيرة، والجميع لهيمنة الولايات المتحدة في مجال الاتصالات والإعلام (مع أن الصين وروسيا وغيرها باتت تسعى لإنشاء سيرفرات خاصة بها).

مثل هذا الأمر يضمن عدداً من الأبعاد الخطيرة والاستراتيجية، لا بل البنوية. مثلا، لنفترض أن الصورة التي شاهدتها للتو في "العرب اليوم"، لشخص أو لمناسبة معينة، قد أخذت من موقع السي أن أن NNC، فإن ذلك سيؤدي، حسب القانونين، لو تم سنها، إلى وصم "العرب اليوم" برمتها بالقرصنة، وبالتالي لحظرها وحظر كل موقع يوجد فيه رابط إليها! النتيجة لثابتة الأبعاد: 1) بما أن شركات الإعلام العالمية الكبيرة هي التي تملك الموارد لامتلاك حقوق الملكية الفكرية، موصورون بالأمازون مثلا أو مراسلون بيسيبيريا، فإنها ستعزز سيطرتها على الإعلام العالمي، وستزيد من أرباحها، وستزيد من نسبة خطاياها في الخطاب العالمي، فيما يضطر الجميع للجوء إليها، 2) تحت ستار حقوق الملكية الفكرية وحماتها، سيتم سحق كل مواقع المعارضة السياسية للولايات المتحدة حول العالم، وباللغات الأجنبية، وسيتم ذلك بطريقة قانونية "نظيفة"، لا تتطلب قتل المعارضين أو زجهم في السجون، 3) وسيكون كل ذلك اختياريًا، بمعنى أنه سيطبق فقط في الحالات التي ترى فيها الولايات المتحدة ذلك، أي، ضد المعارضين السياسيين. ولفهم السياق، الرجاء العودة لمادة سعود قبيلات في «العرب اليوم»، في 2011/1/23 حول مفهوم "الإمبريالية الإعلامية".

الطريف أن الشركات المعارضة في الولايات المتحدة لا ترفض المبدأ في القانونين، بل ترى أنها ستعرض لعقوبات غير ضرورية بسبب وجود كميات ضخمة من المواد لديها ستتكلف كثيرا لو أرادت تدقيقها بناء على مقاييس الملكية الفكرية المطروحة!